التحليل النظري في وطنيات وعواطف حافظ إبراهيم

(دراسة تحليلية)

آرمان محمدي
الطالب في قسم اللغة العربية وآدابها
Armanmohamadi.13971397@gmail.com
محمد رضا بيكي
عضو هيئة التدريس بجامعة بيام نور- إيران

The Retorical Analysis of the Patriotism and Emotions of Hafidh Ibraheem (Analytical Study)

Arman Mohammadi
Mohammed Ridh Biki
Staff member in the University of Biam Noor-Iran

الملخص:

يعدّ حافظ ابراهيم شاعر القومي بمصر واحد من جملة الأعلام في حركة الأدب والشعر القومي ولعب دوراً هاماً في تصعيد الروح المعنوية والقومية وأمدته نزعته الشعبية وعاطفته الدينية والوطنية والاهتمام بالناس وحب الوطن بانشاد الشعر في مجالات العاطفية خاصة عاطفة الوطنية في ساحة الكفاح وسبيل ارتقاء وإزدهار شعبه نظراً إلى أن هدفنا في هذه المقالة هو تناول جزء من شخصية الشاعر العاطفية لهذا نحاول في هذه المقالة أن نبحث آراء هذا الأديب والشاعر الشهير في مضامين العاطفة من عاطفة الديني والطبيعي وعاطفته في الحبّ وحزن في الغزل خاصة عاطفة الوطنية التي تغذي بها عواطف الشعب المصري موضوعي، والمنهج الذي اعتمدناه في هذه المقالة هو المنهج الوصفيّ التحليليّ.

الكلمات الرئيسة: وطنيات – حافظ ابراهيم – الدراسة الأدبية – عواطف.

Abstract:-

Hafez Ibrahim is a national poet in Egypt and one of the most prominent figures in the movement of literature and national poetry. He played an important role in promoting morale and patriotism and its people, its people, its religious and national ties, the interest in people and the patriotism of patriotism in the areas of passion and patriotism. The rise and prosperity of his people. Since our goal in this article is to address part of the personality of the poet of passion for this we try in this article to discuss the views of this famous poet and poet in the content of the passion of religious and physical passion and passion in love and sadness in the yarn, especially the national passion, fed by the emotions of the Egyptian people The approach adopted in this article is descriptive descriptive approach.

Key Words: Nationalities, Hafiz Ibrahim, Literary Study, Emotions.

المقدّمة:

ولد محمد حافظ ابراهيم الفهمي من أم تركية في ديروط بجمهورية مصر العربية. تغلب على المصائب والعقبات الكثيرة في طيلة حياته، موت أبيه والفقر والضيق والضغوط النفسية في ابان الحداثة و... جعل الحزن والأسى لحظة بعد لحظة في حياته أما بالرغم من كل هذا المصائب أصبح شاعراً معروفاً في ساحة أدب المعاصر سمّي حافظ ابراهيم شاعر العاطفة والمجتمع والموسيقي (الفاخوري،١٣٨٧هـ.ش، ص٩٦٦) نظراً إلى أن هدفنا فيه ومازال يواكب الشعب في جهاده وثوراته الغاضبة علي الانجليز، وما يزال ينطق عنه كلما أم به حادث أو نزلت كارثة و مشاعره كان يرافقه شعر الاجتماعي كثير ويصور فيه علل الشعب باشعاره العاطفية الحزينة حتى لقب بشاعر عاطفة الوطني بحيث يصبح صوت الشعب الناطق باسمه في مطالبه، فكلما ابتغي حاجة بادر إلى طلبها، سواء من ذلك ما اتصل بدور العلم أو بانشاد الملاجيء والجمعيات الخيرية، وقد هلل طويلا لإنشاد قصيدة ((مدرسة بنات ببورسعيد)) و لما فتحت الجامعة المصرية أبوابها نوّه بذلك طويلاً. وأهم من هذا الجانب عنده دعوته إلى الملاجيء والجمعيات الخيرية لعون الاطفال البؤساء و كان ما ذاقه من طعم البؤس وعاناه من شظف العيش جعله يشعر في اعماقه بعاطفته الحارة علي البؤسا التعسا من ابنا الامة وله في ذلك اشعار كثيرة مؤثرة يستحثّ فيها ذوي اليسار علي ان يمدّوا أيديهم بالمال لعون الاطفال المحرومين فقد يخرج من بينهم زعيم سياسي كبير مثل سعد زغلول الخطيب المفوّه، أو مصلح ديني عظيم مثل محمد عبده أو شاعر عبقري مثل شوقي ومدح بهم كلهم في عاطفة مع رقة و فرحة و كان الشعب يهلل استحسانا كلّما قرأ له قصيدة، كان يجد في اشعاره وقوداً جزلاً لجذوة الحياة الكريمة التي يريد أن يحياها. ((مجلات فلسفة كلام وعرفان، آفاق الحضارة الاسلامية مير ممتاز، اكرم السادات، صفر ١٤٢٦ - العدد ١٥)).

عاطفة الشاعر الشعرية:

منح حافظ عاطفة قوية فياضة و أكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ الا توثبت نفسه وهاجت مشاعره فمزية عاطفة حافظ في شعره عمومها وقوتها فلم تعرف شاعراً عربياً ولا معاصراً له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية افاضته ونفساً فنيةً سمت به عن اقرانه نابغة العصر علي أنّه يخيل أنّ حافظ لم

يخلق رجل قتال نعم كان منظره رجل حرب فهو مستحكم الخلقة وثيق التركيب مفتول الساعدين ولكن لا اذن قلبه يشاكل جسمه علي هذا يقول في سنّ الصبا شعر ساذج وهو من كامن قلبه.(امين ،احمد،٢٠٠٤م ، ص٢٤و٣٧) إنّه خفيف الظل عذب الروح حلو الحديث رائع النكتة بديع المحاضرة تعطف جداوله وهتفت علي أغصانه بلابله (السطوحي، ٢٠٠٧ م، ص ٣٢٠و٣٢١) وقول الشاعر في عمه في عاطفته الرقيقة التي كانت عاطفه صادقة، لما وصلت إليه من مهانة وضعة ، وما نسمعه ونراه منه:

ثَقلت عليك مُؤنتي ... إنّي أرها واهيةً

فأخرجَ فإنّي ذاهبٌ ... متوجهٌ في الداهيةِ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٨)

ولكنه يكن عاطفته قويه حزينة، موقف اليم في بيت عمه يذكره دائماً بيتمه وعذبه ويصور دائما بوسه وشقائه وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق وألم كامن علي الرغم مما يلوح علي سطحها من ضحك وسرور، في هذه الحالة كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ويتبرم بأحداث الزمن و يتمني لو يوافيه حمامه فلهذا يقول:

فلِلموتِ خيرٌ مِن حياةٍ أرى بها ... ذليلاً و كنت السيد المفضالا

(امين ،احمد،٢٠٠٤،م، ديوان ص٩)

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل وعضه الفقر لقد أبي أن يأكل من بيت عمه فمن أين يأكل و مع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخياً بماله فهو حريص علي بقائه في عمله بدار الكتب اشدّ الحرص ضنين به اشدّ الضنين فهو لا يقول شعراً يغضب به أحد من ذوي السلطان خشية أن يخرجوه عن منصبه أو ينالوه باذي فيه سنة (١٩٠٦م) بعد ان عاد حافظ من السودان تزوج من اسرة بني عابدين ولكن لم يدم زواجه اكثر من اربعة اشهر فافترق الزوجان ولم يعقب منها ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج(امين ،احمد، ٢٠٠٤م، ص١٥).

خصائص أشعاره العاطفية:

كان في شعره سجل الاحداث إنّما يسجلها بدماء قلبه واجزاء روحه ويصوق منها أدبا

قيما يستحثّ النفوس و يدفع إلى النهضة سواء اضحك في شعره أم بكي و امل أم يئس وقد عرف بالفصاحة وحسن البيان واحكام الاداء(مجلة علوم انساني، الهلال، طنطاحي، طاهر، ١٣٥١ العدد ١).

تأثير عاطفة الشاعر في اختيار الفظ والمعني:

ممّا يتصل بهذا أنَّ حافظ كان يؤثر في الجمهور بالقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم بنفس شعره لقد كان في نبرات صوته وحسن اجادته في القاء يلعب بعواطف السامعين من اجل هذا كان يطيل الوقت في تخيير اللفظ الذي يحسن وقعه في السمع كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره وينصت إلى جرسه و وقعه علي سمعه قبل ان يبدا بايقائه علي اسماع الناس و أمّا المعني فهو جدد في موضوعه واغراضه. (امين، احمد، ٢٠٠٤م، ص٣٤).

تعريف العاطفة:

العاطفة فطرة بشرية ان الانسان في حقيقة الأمر مجموعة من العواطف و كتلة من المشاعر عنده حب متدفق وقد تعريف يعتريه بغض أو تدبير الكيد لذلك المبغض تسدعي اما حالة نفسية ايجابية أو سلبية. (العاطفة تعريفها وأنواعها، سمراء، بسام، ٢٠١٠، ص١).

ميزة حافظ الكبرى:

إنَّه تبلورت في شعره امال أمته أولاً و آمال الشعب العربي ثانياً ،كانت الامة تشكو من فوضي الاخلاق وتشكو من الإحتلال وتشكو من تضييق الغرب على الشرق وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته ويشعلون غيرته وكان الخطباء يحاولون وكان حافظ بما له من حس مرهف وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك في نفسه، لقد ظل وهو في السودان يشكو في شعره حره ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة و ترفها و نعيمها (امين، احمد، ٢٠٠٤م، ديوان، ص٢٧) وهذا كله يدل علي وجود العاطفة في شعره في عمومها و قوتها خاصة في الوطنيات والسياسات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والترغيب والتشجيعأ ما شعره في الوطنيات والإجتماعيات فكان غاية في للجودة والإتقان وقصيدته ((مصر تتحدث عن نفسها)) قلادة باهرة من قلائد شعره و هي من أروع ما نظم الشعراء في عصرنا وقد كان مجد مصر التليد مصدر الهام لكثير من شعراء عصر النهضة ومن ذلك النبع السخي استمدّ حافظ ابراهيم

الهامه و هو يوقع لحن المجد بنغم شعري مؤثر ونلمح فيه هذه القصيدة روح حافظ وعاطفته نحو وطنه و فيها يقول علي لسان مصر ،أي شعب أحق مني بعيش وارف الظل أخضر اللون رغد فردوا بي مناهل العز حتى يخطب النجم في المجرة و ارفعوا دولتي علي العلم والاخلاق فالعلم وحده ليس يجدي إلى أن يقول:

إنَّ في الغرب أعينا راصدات كحلتها الاطماع فيكم بسهد فاتقوها بجنة من وئام غير رث العرا وسعي وكد نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء فيه وعثرة الرأي تردي فقفوا فيه وقفة الحزم و أرموا جانبيه بعزمة المستعد واستبيينوا قصد السبيل وجدوا فالمعالي مخطوبة للمجد والقصيدة تدلّ دلالة قوية علي صناعته الشعرية الرائعة و نسحه القوي و ديباجته الاخاذة وقد عرف له النقاد المحدثون ذلك وأحب الشعراء والأدباء ديباجته القوية التي تتمثل فيها جزالة لفظه ومتانة أسلوبه والمحافظة علي عمودية القصيدة و صياغتها القديمة حتى ان شوقي نوه في بعض قصائده بشعر حافظ وشاعريته رغم المنافسة التقليدية التي كانت قائم بينهما (مجلة الازهر، عبد البر، طه عبدالرحيم، ١٤٠٤) ومن ذلك قوله:

ما زلَت تهتفُ بالقديمِ وفضلِه ... حتى حَميت أمانةُ القُدَما

جدَّدت أسلوبُ الوليدِ لفظِه ... وأتيت لِلدنيا بسحرِ الطائي

وأمّا أجاد حافظ في احد وجهي الوطنية اكثر مما أجاد في وجهها الآخر و هو الحزن الذي يستوهي الهام من كامن حزنه.

عاطفته الوطنية في الشكوى:

حافظ ابراهيم من الشعراء الذي يهتمّ بالوطن اهتماماً تاماً وفي هذا المنطلق يكافح تجاه المستعمرين و في هذه الأشعار نرى شكاوي حافظ ابراهيم:

فمن لي ان اري تلك المغان ... وما فيها من الحسن المقيم

اتيتك والخطوب تزف رحلي ... ولي حال ارق من السديم

(امين، احمد، ٢٠٠٤م، ديوان، ص٢٤)

هكذا ظل في السودان يبكي و يتوجع و يتشوّق و يستغيث بالأستاذ الإمام يردّه إلى

مصر رد الشمس قطرة المزن إلى اصلها ورد الوفي الامانات إلى اهلها. الشاعر يستفيد هنا من الاستفهامية في سياق النفي ويدعي عجزه وبعده عن الوطن مع الفاظ كآرق من السديم لغرض الاسترحام والاستعطاف. وقف حافظ في الشكوى مواقف المختلفة فتارة يقرع الامة تقريعا جارحا مؤلماً علي استنامتها واخلائها إلى السكون واستسلامها للاجانب. ويقول في الشكوى:

أمّـــة قـــد فـــتَّ في ســـاعدِها ... بغضَـــها الأهـــلُ وحـــبَّ الغربـــا

تعشـــقُ الألقـــابُ في غـــيرِ العـــلا ... وَتفـــدي بـــالنفوسِ الرتبـــا

النســـرُ يطمـــعُ أن يصـــيدَ بأرضـــنا ... سَـــنريه كيـــفَ يصـــيدُه زغلـــولُ

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل و التشاؤم اضطراب الامة بين اليقظة والنوم والإصابة و الخطاء فهو صدي لها في حركاتها و يعاوده الأمل بعد اليأس والرجاء بعد الخيبة. الشاعر في بيت (امة....الرتبا) ينذر أمته و يتحسر و يظهر الأسي والحزن علي رخوتها و سكونها وفي بيت (النسر...) الشاعر يفخر بقومه ويباه بما لهم من الباس والقوة.

العاطفة الوطنية في الرثاء:

وأما الرثاء فكان لحافظ فيه قدم ثابتة لأن طبيعة الرثاء تتصل بالبكاء والحزن والألم يتفق مع مسيرة حياته التي عاني في أكثرها ما عاني من القسوة والحرمان واضطراب الأحوال مما كان له أقوي الاثر في نفسه وفي أرهاف حسّه وفي قوة عاطفته ولذلك كان شعره في الرثاء مؤثراً غاية للتأثير. ويبدو ذلك واضحاً في رثائه للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وزعيم مصر الشباب مصطفي كامل)) عندما يقول: و في رثائه لاستاذه ((الامام سلام على الإسام بعد محمد سلام علي أيامه النضرات علي الدين و الدنيا علي العلم والحجا علي البّر والتقوى على الحسنات لقد كنت أخشي عادي الموت قبله فأصبحت أخشي أن تطول حياتي فوا لهفي والقبر بيني وبينه على نظرة من تلكم النظرات وقفت عليه حاسرا الرأس خاشعا كأني حيال القبر في عرفات وأيضاً قوله فيه:

أيـــا قـــبرَ هـــذا الضـــيفَ آمـــالُ أمّـــة ... فكبُـــرَ وهلّـــل وألـــقِ ضـــيفَك جاثيـــاً

عزيـــزٌ علينـــا أن نَـــرى فيـــك مُصـــطفى ... شـــهيدُ العـــلا في زهـــرةِ العمـــرِ ذاويـــاً

والمعاني التي طرقها الشاعر في هذه الابيات مألوفة شائقة. ليس فيها غرابة أو ابتكار ولكننا نلحظ فيها من الجزالة و الرصانة ما عرفناه في شعر حافظ كله أه معظمه مما يتصل بناحية حافظ الإجتماعية اشدّ إتصال شعره في الرثا فقد اكثر منه في ديوانه وقد قال في ذلك عن نفسه:

اذا تَصـــــفَحتُ ديـــــوانيِ لِتقـــــرانيِ وجـــدتُ شـــعرَ المراثـــي نصـــفَ ديـــوانيِ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٣٣)

وكان يصور في رثائه عاطفته الشخصية بأسلوب المتفجع، وكان يلون رثاءه بألوان الشخصيات المختلفة التي يرثيها، ففي رثائه لأصدقائه تبرز روح الوفاء كما يبرز التفجع والأسى، أما رثاؤه للزعماء فكان ملحمة وطنية يتمثل فيها الوطن مفجوعاً بأعز الناس إليه عندما يرثي ((سليمان باشا)) وكان في منصب نظارة المعارف:

أيهـــــذا الثَّـــــري الامَ التمـــــادي بعـــدَ هـــذا أنـــتَ غرثـــانٌ صـــادي

أنـــتَ تـــروي مِـــن مـــدمعٍ كـــلِّ يـــومٍ وتغـــذي مِـــن هـــذه الأجســـادِ

الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوي الزمان و الحنق عليه و الغيظ منه فالزمان قد فعل بحافظ الافاعيل فرماه بالبؤس والشاعر في هنا تخرج عن معناها الاصلي وهو طلب الإقبال و ينادي الثرا في ندا القريب للتحسر و التوجع، و عندما يرثي((محمد عبده)) بمنصب افتاء فيقول:

لَقـــد كنـــتُ أخشـــي عـــادي المـــوتِ قبـــلَ فأَصـــبحتُ أخشـــى أَن تطـــولَ حيـــاتي

فَـــوا لَهفـــي والقـــبرُ بينـــــي وبينَـــه علـــى نظـــرةٍ مِـــن تلكـــم النظـــراتِ

حافظ كان شديد الخوف من الموت دعاه ذلك إلى أن ينعي نفسه فاذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك لأنَّ موته انذار بموت حافظ وما اشد وقع ذلك علي نفسه فموت شيخ محمد عبده نكبة علي مصر و علي الوطنية الحقة فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة الكاملة ويقول في سهولة:

وجزالة ما برع فيه اقرانه. والشاعر مع بيان فوا لهفي... يستغيث من إشفاقه علي نفسه

رثاء يقطع الاحشاء و يذيب لفائف القلب. ولحافظ قصائد يرثي فيها الإنسانية في نكبتها ويشعر بالفجائع أنى كان موقعها، ويبدو ذلك في رثائه لمدينة مسينة التي أصابها الزلزال فأغرقها. فيقول عن عاطفته صادقه فينظر إلى الإنسانية كلها:

سـلامٌ عليـك يـومَ تـولي ... بِمـا فيـك مِـن مغـان حسـان

سـلام علـى امـرئ جـاد بالـدمع ... وثـني بالاصـفر الرنـان

إنه إحساس الإنسان بأخيه الإنسان في الملمات الصعبة التي يحتاج فيها الإنسان لأخيه الإنسان. فشاعرنا كبير القلب وعظيم النفس، ورقيق الإحساس. وهذا ظاهر يحكيه شعره وتكشفه مواقفه الإنسانية وخصاله الحميدة من كرم و فكاهة ورقة طبع كحق الانسان عند بني الإنسان لم ادعكم إلى احسان (مجلات فلسفة كلام وعرفان ،آفاق الحضارة الإسلامية مير ممتاز، اكرم السادات، صفر ١٤٢٦ - العدد ١٥).

ويبدو حافظ في كل ما نظم من رثاء عميق الإحساس صادق المشاعر مما يجعل قارئه يعيش في موكب من عواطف الشاعر، مما حدا((بشوقي)) إلى أن يقول في رثائه حافظاً: قد كنت أوثر أن تقول رثائي قد كنت أوثر أن تقول رثائي.

العاطفة الوطنية في الحزن والأسى:

الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة ويحمل علي الإجادة فيها فتوافق طبعه. كانت عاطفته صادقة لأنه أمر يمسّ كل عربي يرَى حال لغتنا المزري، وما وصلت إليه من مهانة وضعة ، وما نسمعه ونراه من الدعوات الهدامة لها.. ونحس بهذه العاطفة الصادقة المشحونة بالأسى و الحزن في قوله:

رَمـوني بعقـمٍ في الشـبابِ وليـتني ... عقمـتُ فلَـم أجـزع لِقـولِ عـداتي

وقوله:

وُلِـدتُ ولمـا لم أَجـد لِعرائسـي ... رجـالاً وأكفـاء وأَدّت بنـاتي

فقوله: عقمت و وأَدّت عبارتان مشحونتان بعاطفة الحزن والعقاب معا و هو ناشئ عن الهجر المرير و تتحول العاطفة بعد ذلك إلى ترحم على القدماء الذين حافظوا عليها

فنجده يقول:

سَـقى اللهُ في بطـــنِ الجزيـــرةِ أعظمـــا يَعـــزُّ علـــــيها أن تلـــينَ قَناتـــي

فحافظ إبراهيم نظر بعين ثاقبة و قلب مجروح إلى أمراض مجتمعه و قضاياه. فجاء بوحه ووصفه متأجج ومتدفقا، و يغلب عليه طابع الإنفعال والحماسة أمام كل مشكلة. فالأطفال غرسات المستقبل وجد فيهما أمنيات ضائعات بسبب تشردهم. وفي ضياعهم ضياع مستقبل الأمة ولذلك كان من الضروري يدعو لمؤازرة اليتيم والمشردين:

واكفِلوا الأيتامَ فيه، واعلَموا أنَّ كلَّ الصيدِ في جوفِ الفرا

كَم طَوى البؤسُ نفوساً لو رَعت مَنبتاً خَصباً لَكانَ جوهرا

كَم قَضى مِن أحيا يتيماً ضائعاً حسبه من ربِّه أَن يؤجرا

فالشاعر أحسن الربط و أظهر خلفيات إهمال الطفل. فبشقائه تخسر الأمم الكثير من المواهب و دُرَر في جوف هذا الطفل التائه.. ولكنه دعا بأسلوب عاطفي. فهو طالب معروف وصدقة من الموسرين دون أن يتوقف عند الأسباب الداع لهذا الشقاء. وهذا عائد لمرحلة الشقاء و المكابدة التي قضاهما منتظرا عطف الآخرين

ذقت طعم الأسى، وكابدت عيشا دون شربي قذاه شرب الحمام

فتقلبت في الشقاء زمانا وتنقلت في الخطوب الجسام الحمام

فلهذا وقفت أستعطف الناس على البائسين في كل عام هذا الواقع المأساوي جعله أكثر إرتباطاً وأعمق بوحا تتبناه الجمعيات الخيرية. فدعا لمؤازرة الجمعيات المبنية على البرّ والتقوى مثل مع كل عمل خيري جمعية جمعية رعاية الطفولة.

إنَّ حق الضرير عند ذوي الأبصار حق مستوجب التقديس

لم يضره فقدان نور عينيه إذا اعتاض عنهما بأنيس

آنسوا نفسه إذا أظلم العيـــــش بعلم، فالعلم أنس النفوس

أكملوا نقصه يكن عبقريا مثل (طه) مبرزا في الطروس

هذه بعض من مواقفه أمام مظاهر البؤس والشقاء، والذي يذكر للشاعر تلك الا النفحات الإنسانية الرقيقة، فهو المتتبع لكل أمراض المجتمع، وهو السهم الموجه لكل الحملات و الأخلاق الزائفة فخير شعر حافظ اتصل بعاطفته الحزينة لأنَّه أقرب إلى نفسه (اسد، محمود، ١٣٥١) فقوله:

لَدي كلِّ شعبٍ في الحوادثِ عدّةٌ وَعدتنا نُدبُ التراثِ المضيعِ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص١٣٠)

يبكي الشاعر علي ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر ويندب من الاخلاد والسكون ابناء المصر الراهنة وكان الشاعر يريد من اظهار الحزن والتحسر على فقد مآثره يحثّ أبناء بلده علي السعي و الجدّ و عندما الشاعر يغضب علي أبناء قومه فيما يرى لا يهتمون بعلم أو ثقافة و لا التعاون عند الشدة يثور عليهم ولكن لا يشفي جراحة صدره الّا الدمع و يشير إلى قلبه الحزين الذي يحرق ويلهب ولا يخمد فيقول:

هذي دُموعي على الخدين جاريةً حزنا وهذا فؤادي يرتعي لهبا

وهنا يستفيد الشاعر من فعل المضارع في يرتعي لهبا حتى يقول من الأسى وحزنه المستمر وأيضاً يغضب من عيشه المرو يرى الموت أهون تجرعاً من تجرع هذا العيش المر ويقول:

ذُقتُ طعمَ الأسي وكابدتُ عيشاً دونَ شربي قَذاه شربُ الحمامِ

ومَشي الهمُّ ثاقباً في فؤادي ومَشي الحزنُ ناخِراً في عظامي

وفي قول الشاعر ((ناخراً في عظامي)) يقول من حزنه البالي و عند مجيئه إلى مصر يبثّ فيها الام المصريين و آمالهم و يغضب عن المحتلين و الظلم و اذاهم و ينوح و يعلو صياحه المشفق من جراحة الكامنة في نفسه وينشد:

جراحٌ في النفوسِ نَغرنَ نغراً وكن قد اندملنَ على صَديد

ولكني وقفتُ أنوحُ نوحاً علي قومي وأهتفُ بالنشيدِ

ويخبر الشاعر في (جراح في النفوس...) حتى يظهر من شدة الحزن كان سال دمه وفي بيت (ولكني....) يستفيد من حرف الإستدراك للتنبه والاخبار بقومه وأن يعلمهم بحقوقهم بأنَّه لا واقف برسوم الدار ولا مستنزل هبة بمدح وفي قصيدة اللغة العربية مدافعا ومنا فحا

عن اللغة العربية، اللغة التي يفتخر بها العرب والمسلمون و يعتزون بها هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجاده، هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجاده:

فَيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزَّ الدواءُ إساتي

أيطربُكم مِن جانبِ الغربِ ناعبي ... نادي بوأدي في ربيعِ حياتي

أَرى كلَّ يومٍ في الجرائدِ مزلقاً ... مِن القبرِ يدنيني بغيرِ إناةْ

وأسمعُ للكتابِ في مصر ضجةً ... فأعلمُ أنَّ الصائحين نعاتي

في هذه الأبيات توبخ اللغة العربية أبناءها بقولها ويحكم أفنى وتفنى محاسني ومنكم و إن قلّ الدواء أطبائي! ثمّ تستفهم مستنكرة أيهزكم و يفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حية و أنا في ربيع حياتي؟ فأنا أرى في كل يوم في الجرائد زلة وخطأ يدنيني للقبر بغير حلم ولا رفق ، وأسمع للكتاب في مصر ضجة " وتقصد الحملة الجائرة التي قامت في مصر وهي الدعوة إلى العامية فأعلم أن هؤلاء الصائحين والمنادين هم الذين ينقلون خبر وفاتي.

العاطفة الوطنية في الحبّ:

ويتغزل في هذا الطور من الحياة ولكن لا في جارية ولا في غلام ويتغنّي ولكن لا في كاس أو مدام كما يقول في تهنئة استاذ محمد عبده:

بلغتُك لم أنسَب ولم أتغزل ... ولما أقفُ بينَ الهَوى والتذللِ

فَلم يبقَ في قلبي مديحك موضعاً ... تجول به ذكري حبيب ومنزل

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٤)

إنّما يتغزلُ في مصر و يتغني بمصر و يأرق في حب مصر:

وما أنا والغرام وشابَ رأسي ... وغالَ شبابي الخطب الجسام

لَعمرُك ما أرقتُ لِغيرِ مصر ... وما لي دونَها أمل يرام

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٣٠)

وحافظ يعتقد بأنَّ العاطفة الصحيحة هي التي تدعو لان تكون حياتنا أسعد وأقوي فيريد منّا أن نتبوا مقعدنا بين الأمم وأن يرفع عنّا نير الاحتلال وأن تكون حياتنا خير ممّا هي وأجمل ما في هذه العاطفة انها ليست من النوع المالوف الذي اعتدناه في كثير من الادب العربي (امين،احمد،٢٠٠٤م،ديوان، ص٣٨). والشاعر في بيت لعمرك... يستفيد من الادوات التأكيد والقسم حتى لا يكذب احد بقوله ويرد الاستنكار.

العاطفة الوطنية في الاجتماع والسياسة:

فقد هزّ به القلوب، فلقب بشاعر الشعب وشاعر النيل. وكان من دعاة الإصلاح الاجتماعي، يحثّ الأغنياء على رعاية الفقراء، وهو يشفق على اليتيم والمحروم فيدعو إلى إزاحة البؤس عمّن ضاقت بهم سبل العيش ولفّهم الشقاء والحرمان، وهو في الوقت نفسه يتألم من عسف الإنكليز وظلمهم، وتراه يتحدّث عن الشعب بشعر قوي الأثر في نفوس قارئيه وسامعيه (منصور،ابوجعفر،٢٠١١) نحو قوله أبو جعفر منصور:

أيشتك الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على أرض من الذهب

والقوم في مصر كالإسفنج قد ظفرت بالماء لم يتركوا ضرعا لمحتلب

وهو في شعره السياسي يدعو الشعب إلى النهوض من الغفلة والتسلح بالخلق القويم والعلم - وكان في نظرته أما موقفه من المرأة فكان وسطاً يدعو فيه إلى الاعتدال وحسن المعاملة، فيقول الاجتماعية الإصلاحية يلحّ على تحصين المال بالعلم النافع. ومن أبرز الأحداث التي هزّته حادثة ((دنشواي)) التي علق فيها الإنكليز المشانق لإرهاب الشعب، ولكنه ينهج في قصيدته عنها أسلوب التهكم والسخرية، كما هي حاله في أكثر قصائده السياسية، ويبدو فيها كأنّه يداري المحتل و إن كان في حقيقته يداوره و يفضح أساليب عسفه، وكأنّه كان يحتاط لنفسه من سجنه، وهو القائل:

إذا نطقت فقاع السجن متكأ وإن سكت فإن النفس لم تطب

ولذلك نراه يصرخ متألماً عندما صدر قانون المطبوعات في مصر في عهد بطرس غالي، وفيه قضاء مبرم على الحريات:

إنَّ البليةَ أَن تباعَ وتشترى مصرٌ، وما فيها، وألاّ تنطقُ

وهو في ندائه لشباب مصر يتقلب بين دعوتهم إلى الثورة حيناً والمداورة والمحاورة حيناً آخر، وأخذ الحقوق عن طريق الحيلة والدهاء. ومن أجمل قصائده الاجتماعية القومية تلك التي يدافع فيها عن اللغة العربية دفاع المحبّ للغته المؤمن بعزّتها ويتصدى لمن يعتقد أنها لغة ميتة. و في قصيدته العمرية التي يصف فيها عمر بن الخطاب الذي عدل فأمن، دعوة مبطنة إلى القائمين على الحكم أن يعدلوا و ذلك إضافة إلى ما فيها من الاعتزاز بالعروبة وتاريخها. ولكنه، على حبّه مصر ومجدها، غلب عليه الخوف عندما أصبح موظفاً فكتم مشاعره إلا قليلاً، كأنما أقام على نفسه رقيباً، فلم ينظم أشعاراً وطنية حذر ذوي البأس وأصحاب السلطان، ولكنه عندما قامت ثورة(١٩١٩م) وخرجت مظاهرات النسوة وتصدّى لها الإنكليز، ثارت وطنيته ثانية (منصور، ابوجعفر،٢٠١١) فنظم قصيدته الساخرة وقد الهبت القصيدة الحماسة في صدور الشباب:

ورحـــــت أرقـــــب جمعهـــــنّ خـــــرج الغـــــواني يحـــــتججن

وفي قوله أيضاً:

شـــــعرُنا بحاجـــــاتِ الحيـــــاةِ وإن وَنَـت عزائمُنـا عـن نيلِهـا كيـفَ يغـدرُ

رجـــالُ الغـــدِ المـــأمول أنـــا بحاجـــةٍ إلى قـــادةٍ تـــبني وشـــعبُ يعمـــرُ

رجـــال الغـــد المـــأمول انـــا بحاجـــة إلى حكمـــةٍ تعلـــى وكـــفَّ تحـــرّرُ

قصـــاري مـــني أوطـــانكم أن تَـــرى لكـــم يـــدا تـــبني ورأســـاً تفكـــرُ

إنَّه متلهف و محرق من أعماقه لرؤية وطنه متسلحاً بالعلم و الحكمة والعزيمة و لم يجد ذلك الا في رجال المستقبل و هذا التكرار لرجال الغد فيه الايمان المطلق بالدور المنوط بهم ومازالت الدعوة مفتوحة امام شبابنا رجال الغد المامول والمرتجي. (اسد،محمود،١٣٩٠)

العاطفة الوطنية في المدائح والتهاني:

لحافظ إبراهيم ديوان معروف أكثره في المدائح والتهاني والسياسة. بلغت المدائح والتهاني في ديوان حافظ زهاء الربع، وكان يقول المديح أحياناً في أناس لا يستحقونه، وقد بقي يهنئ و يمدح حتى أيام جدبه الشعري. ولكنه كان يتلطف في قوله و يبدي براعة في معالجة هذا الغرض، فكانت أماديحه على الرغم مما فيها من مبالغات زاخرة بالحكم والمعاني

التي تعم الناس ولا تخص الممدوح فقط، وتدعو إلى العمل النافع (مجمع اللغة العربية، كردعلي، محمد ١٩٨٠) ويبدو ذلك في مدحه لشوقي حين يقول:

وخُـــذ بزمـــامِ القـــومِ وانـــزع بأهلِـــه

الى المجـــد والعليـــاء أكـــرم مـــنزع

على هذا حافظ ابراهيم يبعث هذه العاطفة المريضة من ناحية ميله إلى اموره الشخصية وللتشجيع الخلفا والحكام حتى يدعوهم إلى العمل النافع كما يقول في مدح محمد عبده وهو بمنصب الافتاء (احمد، امين، ديوان، ص٣٨).

إنّـــي لابصـــر في اثنـــائ بردتـــه نـــوراً بـــه تَهتـــدي للحـــقِّ ضـــلالٍ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٥)

ومـــن تيمنـــت الفتيـــا بطلعتِـــه ادرك فتّـــاك فَقـــد ضـــاقَت بِـــه الحـــال

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٦)

يمدح الشاعر الممدوح و يعلو به و يغلي و يحطّ من قدره كما مألوف في المدح. في عاطفة كاذبة حتى يحثّه بالعدل و الإنصاف و نشاهد هذه العاطفة في هذا البيتين بصورة الواضحة في مدح البارودي و هو بمنصب راسة الا النظار

امـــير القـــوافي أنّ لي مســـتهامةً بمـــدحٍ ومـــن لي فيـــك ان أبلـــغَ المَـــدى

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص١٠)

هَوينـــا فَمـــا هُنـــا كمـــا هـــانَ غيرنـــا ولكننـــا زِدنـــا مـــعَ الحـــبِّ سُـــؤددا

ورُحـــتُ إلى حيـــثُ المُـــنى تبعـــثُ المـــنى وَحيثُ حَدا بي مِن هَوى النفسِ ما حَدا

(ابراهيم ،حافظ،ديوان،ص٧و٨)

ونرى الشاعر ينظر من ناحية ميله إلى اموره الشخصية بالحبّ كما إنّ عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في الغزل او هياما في حب كما يظهر لنا هذا في البيت (ورحتُ..) وأيضاً قوله في تهنة (عبدالحميد بعيد جلوسه):

سَـــلوا الفلـــك الـــدوّارَ هَـــل لاح كَوكـــبٌ علـــى مثـــلِ هـــذا العـــرشِ أو راحَ كوكـــبٌ

ومثّـــل لي عـــرشُ الخلافـــةِ خـــاطري فـــأرهبني قلـــبي والجلالـــة ترهـــبُ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص)

الشاعر عندما يشاهد مقدرة السلطان في بناء المصر وإهتمامه بدين الإسلام شيق ويستفيد في بيت (سلوا الفلك...) من الإستفهام الإنكاري و يريد الإثبات و التأييد بملكه علي هذا نري ونشاهد في مدائح الشاعر الاضطراب يعني عاطفة الشاعر من نوع العاطفة الكاذبة يتغيير بالنسبة إلى الاشخاص المختلفة.

عاطفة الشاعر الدينية:

فنظم حافظ هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها ويفتخر بها:

وسِـــعت كتـــابُ اللهِ لفظـــاً وغايـــة ومـــا ضـــقتُ عـــن آي بـــه وعظـــات

فكيـفَ أضـيق اليـوم عـن وصـفِ آلـة وتنســـيقُ أسمـــاءٍ لمخترعـــاتِ

أنـــا البحـــرُ في أحشـــائِه الـــدركائن فهَـل سـائلوا الغـواص عـن صـدفاتي..؟

وما زالت اللغة تتحدث عن نفسها وتتعجب ممن اتهمها فتقول أنا التي وسعت كتاب الله (لفظاً وغايةً)، فكيف لي اليوم أن أضيق عما دونه كالتعبير عن وصف لآلة أو تنسيق أسماء لمخترعات التي لا تساوي شيئاً أمام ما جاء به القرآن من معان و ألفاظ ، فأنا البحر الذي كَمُن في جوفه الدر فهل سائلوا أهل اللغة العالمين بها عن صدفاتي..

فيـــا ويحكـــم أبلـــى وتبلـــى محاســـني ومـــنكم وإن عـــز الـــدواء أســـاتي

أيطـــربكم مـــن جانـــب الغـــرب نـــاعبي ينـــادي بـــوأدي في ربيـــع حيـــاتي؟

أرى كـــل يـــوم في الجرائـــد مزلقـــاً مـــن القـــبر يـــدنيني بغـــير أنـــاةٍ

وأسمـــع للكتـــاب في مصـــر ضـــجةً فـــأعلم أن الصـــائحين نعـــاتي

في هذه الأبيات توبخ اللغة العربية أبناءها بقولها ويحكم أفنى و تفنى محاسني و منكم وإن قلّ الدواء أطبائي! ثم تستفهم مستنكرة أيهزكم و يفرحكم من جانب الغرب صوت الغراب الذي ينادي بدفني حية وأنا في ربيع حياتي؟ فأنا أرى في كل يوم في الجرائد زلة

وخطأ يدنيني للقبر بغير حلم ولا رفق ، وأسمع للكتاب في مصر ضجة " وتقصد الحملة الجائرة التي قامت في مصر وهي الدعوة إلى العامية فأعلم أن هؤلاء الصائحين والمنادين هم الذين ينقلون خبر وفاتي:

أيهجـــرني قـــومي عفـــا الله عنـــهم ... إلى لغـــــة لم تتصـــــل بـــــرواة؟

ســرت لوثــة الافــرنج فيهــا كمــا ســرى ... لعـــاب الافـــاعي في مســـيل فـــرات

فجـــاءت كثـــوب ضـــم ســـبعين ... رقعـــة مشـــكلة الالـــوان مختلفـــات

ثم عادت إلى عتاب أبنائها باستفهام استنكاري يحرك القلوب فتقول أيهجرني قومي – عفا الله عنهم – إلى لغة غريبة لا تمت ولم تتصل برواة. هذه اللغة التي سرت فيها لوثة الإفرنج أي ما داخلها من ألفاظ أجنبية كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل الماء الشديد العذوبة، وهنا تشبيه ضمني حيث شبه سريان ودبيب لوثة الأفرنج " الألفاظ الأجنبية " في اللغة وتلويثها لها كسريان ودبيب سم الأفاعي في مجرى الماء الشديد العذوبة فجاءت هذه اللغة التي يريدونها مثل الثوب الذي ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفة:

الى معشـــرِ الكتـــاب والجمـــعُ حافـــلٌ ... بَســطت رجـــائي بعـــدَ بســطِ شـــكاتي

فإمّـــا حيـــاةٌ تبعـــثُ الميـــتَ في البلـــى ... وتبنـــتُ في تلـــك الرمـــوسِ رفـــاتي

وإمّـــا ممـــاتٌ لا قيامـــةَ بعـــدَه ... ممـــاتٌ لعمـــري لم يقـــس بممـــاتِ

وفي نهاية القصيدة، وبعد أن بسطت شكواها هي تبسط رجاءها وتقول إلى معاشر الكتاب والعالمين بها عليهم أن يؤمنوا بلغتهم العربية، وأن يلجوا أبوابها الواسعة المفتوحة؛ ليجدوا فيها السعة والرحابة بكل جديد وعتيد، ويعودوا إليها فيبعثوا حياتها وإمّا ممات لا قيامة بعده وتقسم أن هذا الممات لم يقس بممات، فموت اللغة العربية ليس كموت أي لغة، فموتها هو موت للأمة الإسلامية والمسلم يعرف ذلك.

كما أن معانيه جاءت واضحة مترابطة سطحية لا غموض و لا عمق فيها و هذا أمر طبعي إذ أنَّه يتحدّث عن موضوع يهمّ الأمة الإسلامية و هو الحملة الجائرة على اللغة العربية وصمود هذه اللغة أمام هذه التحديات. عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة دينية تموج بالحب والغيرة على الأمة الإسلامية فلا غرو أن تكون صادقة (العصر الحديث،كشاورز، ١٣٩٠).

عاطفة الشاعر في الطبيعية:

هكذا كان شعر الطبيعة عند الشعراء العرب القدماء الذين وصفوا الطبيعة وصفاً حسياً باستعمال التشبيهات والاستعارات والمجازات وظلّ الأمر كذلك في عصر النهضة عند أصحاب المدرسة الكلاسيكية أمثال محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم. حيث اتبعوا سابقيهم القدامى في هذا المجال حتّى تغيرت نظرة الشعراء الطبيعة في العصر الحديث اثر تعرفهم على الآداب الغربية وتاثرهم بشعراء الغرب فجاء شعرهم في الطبيعة كما جاء عند الشعراء الغربيين الرومانسيين الذين هاموا بالطبيعة وفتنوابها واعتبروها الملاذ الأول الذي يجدون فيه الأمن والعطف، فكانوا يلتجاون اليها هرباً من متاعب الحياة و مشاكل الناس و قيود المجتمع يبثونها مشاعرهم وانفعالاتهم.

((اسد،محمود، ١٣٩٠))http://balout.net/post/1306

علي هذا لا يوجد كثيراً من شعره في جمال الطبيعة بل لا تجد شعره فيها حيا قوياً لأنَّ الفرح بالطبيعة وفرح بنفسه ونحو ذلك ممّا ينبعث من عاطفة السرور فلم يكن كبير مجال في شعره كما نشاهد في قصيدته في الشمس عندما يقول:

لاحَ منـــــها حاجـــــبُ للنـــــاظرينَ ... فنَســـــوا باللّيـــــلِ وضّـــــاحَ الجـــــبينِ

نَظـــــرَ ابـــــراهيمُ فيهـــــا نظـــــرةً ... فـــــأري الشـــــك ومـــــا ضـــــلَّ الـــــيقين

إنَّمـــــا الشـــــمسُ ومـــــا في ايهـــــا ... مـــــن معـــــان لمعـــــت للعـــــارفينَ

(ابراهيم، حافظ، ديوان، ص٢٠٧و٢٠٨)

نرى خيالاً ساذجاً وتصويراً مهلهلاً قلّل حظّه من الإبتكار والتصوير ويستفيد من عنصر الطبيعة يعني الشمس نحو عاطفته الدينية بين الشك واليقين ويستحثّ الناس في عاطفته الانسانية في بيت الثالث بأن اعتبروا من الطبيعة وما فيها.

النتيجة:

لعل أهم النتائج التي توصلت اليها هذه المقالة هي:

١- يعتبر حافظ ابراهيم من الشعراء الذين يقومون بالصحوة الشعبية تجاه أمّته حتى

يكافحون قبال الظلم والإستبداد المستعمرين.

٢- الوطنيات ابراهيم من ألطف وأجزل الأشعار الذي نشده و أعانه لكي يصل إلى مدي غايته وإرتقاء سطح فكرتهم و إزدهار الشعب المصر.

٣- يري في الأشعر حافظ ابراهيم عواطف الصافية والقيمة مع أنواعها من الدينية والوطنية و الفردية وغيرها. حيث يعّدها من أبرز الأشعار في الشعر العربي الحديث.

٤- حافظ ابراهيم من أعلام وكبار الشعر العربي الحديث و يبذل قصاري جهوده لتداوم بداية الحركة و إيقاف تجاه المستعمرين والخاصة إنجليز ونري أعماله ضدّ الإستعمارية ويتجلّى في أشعاره الجميلة.

قائمة المصادر والمراجع

١- السطوحي البشري، عبدالعزيز، (٢٠٠٧م)، ((السخرية في الادب العربي الحديث))، قاهرة: الهيئة العامة للكتّاب.

٢- الفاخوري، حنا (١٣٨٧)، ((تاريخ الادب العربي))، تهران: توس، ط٧.

٣- مجلات فلسفة كلام وعرفان ،آفاق الحضارة الاسلامية مير ممتاز، اكرم السادات، صفر ١٤٢٦ - العدد١٥.

٤- ((مجلة علوم انساني، الهلال، طنطاحي، طاهر، ١٣٥١ العدد ١.

٥- بسّام ، سمراء (٢٠١٠م)، ((العاطفة تعريفها وأنواعها)).

www.motarjemarabi.blogfa.com

http://www.noormags.com

http://www.madinahx.com

http://www.galele.com

www.almerbad.net

http://balout.net